محاضرات في مقياس التربية والتكوين في الجزائر د . تالي جمال

عنوان الماستر: علم اجتماع التربية اسم الوحدة: أساسية الرصيد: 5 المعامل: 2

المحاضرة الثالثة: التربية والتعليم في الدويلات الإسلامية بالمغرب الأوسط

1.التربية والثقافة في عهد الرستميين:

تأسست دولة الرستميين سنة 160هـ بمدينة تيهرت وعَمّرت قرنا وستة وثلاثين سنة وسقطت على أيدي الفاطميين. استفادت الدولة الرستمية من انتشار العلوم والمعارف والآداب العربية والفنون والنظم التي برزت في عهد المنصور العباسي وأيام بني أمية.

حيث امتاز الرستميون بدعمهم للحركة الفكرية والعلمية، والاهتمام باللغات الأجنبية إلى جانب العربية والأمازيغية، كما عاشوا التسامح بين المذاهب والتيارات الفكرية فاضافة إلى المذهب الاباضي نجد الصفرية والواصلية وأهل الرأي والقياس وأهل السنة والجماعة والأثر. وكان لهذه الطوائف مساجدها ودعاتها وعلماؤها وأتباعها. وذلك سلوك حضاري يحسب لبني رستم حيث يشكل تاريخ بنوا رستم وجهودهم الحضارية التربوية حلقة مستمرة في جهود الأمة نحو بناء تقاليد تربوية راقية.

2.التربية والثقافة في عهد الأغالبة:

بينما كانت الحضارة في تيهرت مزدهرة، كانت منطقة الزاب تزهو في مطارف العلم والأدب، فلقد نشأت في هذه الدور؛ الدروس العلمية والدينية بالمساجد في كل المدن والقرى، وكان أمراء بني الأغلب ينشطون المعلمين ويساعدون المدرسين، وكان الكثير من رجال الجند العرب ومن البربر قد

رابطوا على الثغور والحصون، يحرسون بلاد المسلمين ويصدون الغارات عنها، ويعلمون صبيان المسلمين في أيام السلم والأمن، هؤلاء هم رواد الإسلام والعروبة الذين يسمون **بالمرابطين**.

وقد كانت دار الحكمة بالقيروان تمثل مدرسة عليا من أرقى مدارس العصر، تدرس فيها العلوم على اختلافها من نقل وعقل، ومنها كانت تخرج النخب في تلك البلاد، وكانت الكثير من مدن الزاب مثل طبنة وبسكرة قد أصبحت دور علم وآداب وتثقيف.[i]

3.التربية والثقافة في عهد الفاطمين/ العبيديين:

ظهرت دولة الفاطميين عقب انهيار دولة الأغالبة حوالي 909 م حيث ظهر عبيد الله الشيعي بأرض فرجيوة من بلاد كتامة يدعو الناس إلى التشيع وسميت الدولة باسمه "**العبيدية**" وما إن انتقل حكمها إلى تونس ثم مصر حتى نسبت إلى آل البيت وسميت بالدولة الفاطمية.

والمعروف أن هذه الدولة لم تدم طويلا لكي تبسط سلطانها وتنشر حضارتها بالمنطقة، إلا أنها وصلت إلى أعلى مراتب الحضارة لدرجة أنها كانت تنافس دولة العباسيين بالمشرق والأمويين بالمغرب.

ويبدوا على رأي المؤرخ عبد الرحمن الجيلالي بأن الدولة العبيدية نشرت الثقافة الإسلامية، وخدمت العلوم بشتى الألسن واللغات على غرار ما كان موجودا عند الرستميين.[ii]

4.التربية والثقافة في عهد الحماديين:

شكلت الدولة الحمادية أول دولة بربرية بالمغرب الأوسط، وكانت مستقلة استقلالا تاما عن مركز الخلافة العباسية ببغداد، أسسها حماد ابن زيري الصنهاجي وامتدت دولته من فاس إلى تلمسان ووهران وكان في صراع دائم مع قبيلة زناتة وحقق عديد الانتصارات عليهم.[iii]

عرفت الدولة تنظيما محكما وازدهرت بها الفنون والفلاحة والتجارة والصنائع والعلوم، فأنشأت حضارة راقية كانت القلعة بالمسيلة عاصمتها الأولى وبجاية عاصمتها الثانية، تحولتا إلى منارات للعلم والثقافة والصناعات لم يظهر لها نظير بباقي وطن البربر.[iv]

حيث لم يخل مسجد ولا جامع في عهد الدولة الحمادية ولا مدينة ولا حارة إلا واحتضنت الكتاتيب والمؤدبين والمدرسين، إذ انتشر التعليم بكل درجاته أو مراحله، وكان عاما ومجانيا، إذ كانت حلقات الدرس مفتوحة للجميع.[v]

كما ظهرت الخيمة المدرسية يرعاها الشيخ الذي يرافق أبناء البدو في الحل والترحال ليهتم بتعليمهم وتحفيظهم القرآن، وعرفت في الأوساط البدوية "بالشريعة".[vi]

5.التربية والثقافة في عهد المرابطين:

ظهرت دولة المرابطين في ظروف حرجة وفي عصر فتن، إذ استنجد بها الناس والعلماء في الأندلس والمغرب لمواجهة عسف زناتة وتحرشات

الاسبان والمسيحيين، وشكلت مراكش عاصمة الدولة ابتداءا من سنة 454 هـ، وشملت الصحراء وصولا إلى مدريد.[vii]

دام حكمهم بالجزائر 65 سنة عملوا خلالها على بعث الحياة الثقافية والتربية والاهتمام بالعلوم، كما اهتمت بلم الشمل ومواجهة الأخطار المحدقة اتجاه الأمة الإسلامية، إذ يرجع "**الرباط**" كمؤسسة دينية تربوية وعسكرية إلى المرابطين الذين اهتموا فيها بالعبادة ونشر العلم والدفاع عن الحمى والمساهمة في نشر الوعي التربوي والثقافي، وتعليم الناس ونسخ الكتب.

6.الثقافة والتربية في عهد الموحدين:

يعود الفضل في تأسيس دولة الموحدين إلى الفقيه محمد ابن تومرت والذي يعود نسبه إلى المصامدة بجبال الأطلس المغربية، ذهب طالبا للعلم في المشرق وعاد إلى الجزائر مزودا بفكر إصلاحي، وكان يدرّس في المساجد ويعظ الناس وينهى عن المنكر، ولما أزعج أمير الحماديين في بجاية العزيز ابن المنصور، اتجه إلى مراكش لكنه واجه فيها المرابطين ودعا الناس إلى مبايعته، والدخول تحت رايته فبويع سنة 515 هـ، وانطلق في دعوته لإقامة دولة الموحدين.

بعد وفاته أوصى ابن تومرت بمبايعة تلميذه وصاحبه الوفي عبد المؤمن ابن علي الذي اشتغل بالتعليم وتأديب الناشئة، فأصبح هو المؤسس الثاني لدولة الموحدين، كان فقيها وعسكريا وقائدا وملكا عظيما. عادلا

محبا للعلم والعلماء، وتمكن من بناء دولة امتدت من شمال إفريقيا إلى جنوب أوروبا.[viii]

برز في عهد الموحدين مذهب ابن حزم الظاهري، والتصوف ومن أشهر مشايخه الشاعر والفقيه أبي مدين الغوث المعروف بسيدي بومدين الذي توفي في تلمسان، تعلم عن الشيخ عبد القادر الجيلاني في المشرق ودر ّس في بجاية حيث اهتم بالتربية والتعليم.

ساد في عهدهم نشاط ثقافي كبير امتاز بالتواصل بين الأندلس والمغرب العربي، نظرا للتكامل السياسي والترابط الاقتصادي، فاهتم الناس بالعلوم الشرعية واللغوية والآداب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة، وعلم الكلام والمنطق.

وكانت بجاية وتلمسان ومراكش من ابرز عواصمهم العلمية التي جلبت إليها طلبة العلم والعلماء، وانشأ عبد المؤمن مجالس للعلماء وبرزت الكثير من المؤلفات في شتى العلوم و المعارف العقلية والنقلية، من منطقة المسيلة والياشير وبجاية وتلمسان وقسنطينة والأندلس وغيرها.[ix]

7.الثقافة والتربية في عهد الزيانيين:

الدولة الزيانية نسبة إلى زيان ابن ثابت بن محمد الذي يعود نسبه إلى بني عبد الوادي، تأسست في 627 هـ، حيث أعلن يغموراسن عن استقلالها عن سلطة الموحدين ستة سنوات بعدها، ولقد توسطت الدولة الزيانية دولة المرينيين بالمغرب الأقصى والحفصيين بتونس.[x]

يذكر العلماء بان الزيانيين بنوا ملكهم ونظمهم في مدينة تلمسان، بحيث انتشرت الثقافة والعلوم في المغرب الأوسط بناءا على ما تمت وراثته من ثقافة وحضارة عن الحماديين والموحدين، فانتقل بذلك مركز الحضارة من بجاية إلى عاصمتهم تلمسان، والتي ازدهرت فيها الفنون والصناعة والتجارة والآداب والعلوم، وقصدها العلماء، وأصبحت منارة علمية تضاهي قرطبة وبغداد في سمعتها.[xi]

" وذكر ابن خلدون في المقدمة صناعة التعليم، فاستحسن تعليم تونس وبجاية وتلمسان، وانتقد تعليم فاس أنه لا يكسب ملكة ولا يفتق لسانا ولا يقرب مطلوبا.[xii]

خلاصة:

لقد تمت الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا في مرحلة تاريخية مبكرة جدا من حياة الخلافة الإسلامية، وكان من نتائج ذلك أن كانت هذه الفتوحات عربية إسلامية ، بمعنى أن الفاتحين المسلمين في اغلبهم من

العرب الذين حملوا لواء الإسلام والعروبة معا، ولذلك كان الانسجام حد التطابق في التسمية عربي مسلم؛ وكأن الأول يقتضي الثاني بالضرورة، وهو ما تكرس بشكل نهائي بعد التعايش بين البربر والفاتحين، حيث تعرب الأمازيغ ودخلوا الإسلام.

لقد ركزت دولة الخلافة ومنها الدويلات التي كانت في المغرب الأوسط على نشر الإسلام وتعليم قيمه السامية، عن طريق تشجيع حفظ القرآن وتفسيره وتدريس العلوم المرتبطة به وبالحديث، ولعل الموطأ من بين أكثر الكتب انتشارا بين طلبة المغرب الأوسط.

إن المؤسسات التربوية في هذه المرحلة هي مؤسسات دينية ارتبط بالإسلام كدين وكرسالة سماوية تستهدف الدنيا والآخرة، فأنتجت لنا تلك المؤسسات علوما وفنونا متنوعة نبغ فيها العرب والأمازيغ على السواء، وظهرت على إثرها حواضر علمية، لا زال ذكرها إلى اليوم بما قدمته للإنسانية من إنتاج فكري وفلسفي وعلمي.

إن أشكال الوعي التربوي الذي خلقته المؤسسات الدينية لا تعكس الوجود الاجتماعي للفرد في شمال إفريقيا والمغرب الأوسط على الخصوص فحسب، بل إنها كذلك أثرت في تطوره، فالقيم الروحية والإنسانية والأخلاقية التي أنتجتها، كانت بمثابة المحرك والموجه للفرد في ذلك المجتمع الناشئ الذي تلاقحت في ثقافة وافدة مع العرب والمسلمين بثقافة محلية مغلقة مثلها البربر باختلاف ألسنتهم.